الخطاب الصوري للإرهاب أنموذجا لوظائفية الفن

The image discourse of terrorism
A model of the functionalism of art

الأستاذ الدكتور/ سلام جبار

جامعة بغداد – كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث

وظف الخطاب الصوري كوسيلة مساعدة مرافقا توثقه المخلفات التاريخية سرعان ما تنامى ليشكل مظهرا مرافقا وبقوة اكبر وصولا للحربين العالميتين وحروب الخليج الأولى والثانية وهو امر معقول بالنظر للطاقات التي تقف خلف ذلك غير ان توظيف الحركات الإرهابية التي ضربت بأثارها وافعالها كيانات بشرية بعينها لهذه الفعاليات الإعلامية الاعلانية جاء ليكسر افق توقع القدرات المخمنة لهذه الحركات سيما مع ما قدمته من كفاءة وفعالية في جودة الإنتاج واحترافيتة وكفاءته في التوثيق وايصال رسائل الرعب والإرهاب للشرائح المستهدفة ، وبهدف انارة هذه المنطقة فان البحث الحالي يتألف من فصل مخصص للخطاب الصوري ووظائفية الفن المعاصر عبر إيضاح التحولات الكامنة في جسد النص البصري المعاصر التي سهلت توظيفه كخطاب عبر الانفوميديا من خلال الاعلان والاعلام والعولمة والتداولية وصناعة البطل وفصل مخصص للتناول توظيف الإرهاب للخطاب الصوري وفصل لمناقشة نتائج البحث التي تتوزع بين وصف نوع الفعل وما بذل في توظيف الخطاب الصوري للإرهاب وكان له اثره الواضح على الارض والانسان وبين رد الفعل الذي امتاز بالسلبية وعدم القدرة على مجاراة الفعل بسبب التخلف الذي يميز إدارات البلدان النامية عموما وعدم افادتها من التجارب والخبرات العالمية .

Research Summary

The recruitment of the image discourse as a means of assisting the accompaniment documented by the historical waste quickly grew to form a more closely accompanied appearance to the world wars and the first and second Gulf wars which is reasonable in view of the energies behind it. However, the recruitment of terrorist movements that have been hit by their effects and actions are specific human entities for these media activities The expectations of these movements, in particular their efficiency and effectiveness in the quality of production, professionalism and efficiency in documentation and the delivery of messages of terror and terror to target

groups, In order to illuminate this area, the current research consists of a chapter dedicated to the visual discourse and the function of contemporary art by clarifying the transformations inherent in the body of contemporary visual text, which facilitated its employment as a communication discourse through advertising, media, globalization, deliberation, the hero's industry and a dedicated chapter for dealing with terrorism. The research, which distinguishes between the description of the type of act and the use of the discourse of the image of terrorism and had a clear impact on the ground and man and the reaction that characterized the negative and inability to keep pace with the act because of the underdevelopment that characterizes the administrations of developing countries in general and Drawing on international experience and expertise

المقدمة

تأشر وبشكل مميز توظيف الخطاب الصوري كأحد الأدوات الاساسية في إدارة عدد من العمليات خارج منظومة الفن وفي فضاءات خارج التخصص المباشر او المجاور او المتوقع من اجله سيما وان هذا الخطاب قد قدم ويقدم وفقا لأعلى معطيات المنظومة الفنية المعاصرة وملبيا لمتطلباتها بحيث صار الاستنتاج مبررا عن ان بعضا من تكييف الفنون انما تم بهدف اكساب الفن المعاصر هذه الوظيفة بناء على حقيقة ان ما يفعله الفن ومؤثراته يتراصف مع ما تفعله القوى العنيفة المغيرة ان لم يكن متقدما عليها

الفصل الأول

الخطاب الصوري ووظائفية الفن المعاصر

شكل الخطاب الفني الصوري هوية الفعاليات التاريخية والاقتصادية والعسكرية عبر التاريخ – وهو الدور الذي استشعره الانسان بالتجربة والتراكم وتعلم جزءا كبيرا منه من خلال الظرف الموضوعي للأثر الذي تتركه الفعاليات الطبيعية كالبراكين والزلازل والاعاصير والعواصف ، ومن السلوك المعتاد في الميثولوجيا وحتى الابستمولوجيا حيث تطورت فيها ظاهرة تحوير الحقيقة وتهويلها واكسابها المعجز الممتنع من الصفات لأسباب دفاعية وقائية بما ضمن خصوصية وتميز مكانتها في متحفي الجدار والذاكرة البشرية عبر السيطرة على لب العينة المستهدفة بوسائل اظهار تدخل الرعب في القلوب وتسبغ الحجم الاكبر والصوت الاعلى والحركة الاعنف لفرض السيادة والحيازة ، فشكلت ظاهرة توظيف خطاب الصورة لإرهاب الاخر سلوكا لازم تطور متطلبات الانسان التوسعية والاستحواذية بمختلف تبريراتها

خيرا وشرا ، و بالنظر للحقيقة المعرفية الخاصة بفاعلية الصور وقدرتها على الوصول الى التلقي والتأويل دون الحاجة الى قواميس تعريفية ، فقد تم توظيف الصورة لإيصال رسائل ارعاب وارهاب المقابل و صار تأكيد صور بعينها وتكرارها وتضخيمها وبثها في زمان ومكان معينين جزءا لا يتجزأ من المسيرة الحضارية بحيث لا تخلو منجزات الانسان المدنية التي قدمها عبر تاريخ وجغرافيا الحضارات الكبرى من هذا الخطاب ، وما حيك حولها من تداوليات تهدف جميعا للظفر بإرهاب المقابل او ايضاح اساليب ذلك ، وهو الامر الذي تطور مع تطور وسائل ابلاغ الخطاب الصوري عبر الموسيقى والشعر والرسم والنحت والبيانات العامة واللوائح المعلقة التي توثق جميعها المعاناة التراجيدية كأحد اشهر الوسائل للوصول للآخر ، وهو ما تعزز بتطور الانفوميديا العالمية اي توظيف وسائل الاتصالات في نقل المعلومات ، وصولا الى توظيف الارهاب العالمي خطابا صوريا يعتمد احدث الامكانات التكنلوجية العالمية في وسائل انتاج الصورة الصوتية والمرئية الثابتة والمتحركة وبما يحقق اكفأ قدرة على الاتصال و نقل المعلومات ، وهو ما تم اعتمادا على تراكم خبرة الفعاليات الدولية في استثمار المهارات الفنية التشكيلية والتصميمية بإنتاج ايقونات ادت فعالياتها بنجاح كعناصر اساسية في الانفوميديا التي وظفت بطاقتها القصوى عند المنظمات الارهابية عبر المواقع الالكترونية والمجلات ودور النشر والفضائيات ، وبكفاءة تعجز عن انتاجها بيئات الدول المحلية النامية ، بالإفادة من اجادة انتقاء المادة الإعلامية وبمقدمها الصورية التي يضاف اليها الضعف الواضح في رد الفعل بسبب مشاكل لوجستية تتعلق ببنى كلا من الانفوميديا والصور المنتقاة لمواجهة الارهاب ، ويكفي ان نؤشر ان الدول التي عانت من الارهاب كظاهرة كانت تلعب دورا دفاعيا بدلا من دور الفاعل المفترض بهذا الباب ، واذا كان موضوع توظيف الصورة اعلاميا للإرهاب قديم تاريخيا وفنيا وحديث تكنلوجيا فانه بصورته المعاصرة اصبح متاحا واكثر يسرا لعدد اكبر من دوائر المستهلكين، سيما تلك التي تمتلك قواعد لوجستية لتلقي المعلومات وتداول الفن والميديا كالعراق على سبيل المثال ، مع العناية بان وسائل الانفوميديا المعاصرة تقوم اساسا على كثير من التفاصيل التي تتعارض مع البنى الاجتماعية والاخلاقية والدينية للشرق عموما وللمسلمين خاصة ، وتحديدا في حرية الممارسات الذي تتطلبه هذه الوسائل التي يتم تصويرها بانها تتعارض مع متطلبات الامن لبلد ما فضلا عن عدم التزام الفنان التشكيلي او المصمم بمساهمته المفترضة في الرد على الفعل او المبادرة الفاعلة قبل ذلك ، على ان هذا لا يوفر غطاء تبريريا كافيا للنكوص الذي يمتاز به الدفاع الاعلامي ببث الصور عبر الانفوميديا سيما مع توفر طاقات معتبرة واحترافية في مجالي طرف المعادلة فيما لو احسن توظيفهما كما يجب . فكل فعالية يترتب عليها عمل فني إبداعي كاللوحة التشكيلية أو الموسيقى ...، تجعل الفن مصدراً من مصادر الخطاب[1] الصوّري بل وأكثرها تأثيرا للوصول الى الاخر، و يكشف عن شيء من الظاهرة التي يعالجها ؛ بحيث تدفع المتلقي

[1] استيتية ، سمير شريف ، اللغة وسيكولوجية الخطاب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، الأردن ، ٢٠٠٢، ص: ١٦

نحو التأليف على الصورة فينتج نصا مضخما يحمل طاقات اكبر من المستلمة أصلا متخذا من نتاجه خامة للإنتاج الجديد المؤلف [١] سيما مع تيسر وسهولة التأثر والتأثير وبلا كلف تذكر مع الانفتاح التكنولوجي في نقل المعلومات وتداولها بحيث يتاح المجال بلا قيود لإنتاج و لتداول ولاستهلاك الصور بفعل تلك الوسائل الالكترونية المعاصرة. فالخطاب الفني اليوم تجاوز الفنان ليكون المتلقي هو الحكم على وفي قيميته مهما كانت وجهة هذا الخطاب، حيث يحقق تواصل المتلقي نوع من الاستجابات المتبادلة ، تتجسد وفق آلية تتيح إمكانية عملية تطبيقية للخطاب ، يحكمه مبدأ النفعية ويوزع على اكبر عدد من المتلقين وهو محمل بأكبر كم من القدرة على تلبية الحاجات [٢] فالوسائل الالكترونية، سهلت للفرد حضوره داخل النسق الاجتماعي في عصر هيمنة الصورة ، لذا فان تلبية حاجات الفرد شكل ابرز شروط التواصل و محددات هذا الاتصال[٣]، الذي يعد أهم العوامل المحددة لنوع العلاقات التي يقيمها مع الأخرين[٤] ، مشروطا بالانفعالية المفترضة مع العمل الفني الفاعل ، و يتغّير معنى ذلك في كل مرة تتغّير فيها شروط التلقي التاريخية والاجتماعية وبناء على وجود مستهدف متحول متجدد الرغبة خاضع لمتطلبات ومعطيات المعاصرة [٥].وهو ما تم استثماره في إدارة التوجهات العامة للتجمعات عبر المنظومة الصورية وعبر استثمار الانفعال اللحظي [٦]. وهنا يكمن سر الاهتمام الدولي بتامين مستلزمات تداول ونقل وتلقي المعلومات الصورية والسمعية عبر وسائط نقل المعلومات العالمية و برامج التصنيف والتبويب والخزن والارشفة والاستعادة والتصنيف الالكترونية بما يضمن تأثيرها الأكفأ ، عبر المثاقفة من خلال المجالات المختلفة وهو الامر الذي عزز الحاجة الى ظهور انساق جديدة مبتكرة في قطاعات الانتاج الثقافي (الموسيقى ، الفن التشكيلي ، الفوتوغراف....الخ تتوائم مع متطلبات التداول عبر الاثير وتستهدف ردم الهوة بين المستويات المتباينة من الثقافات تقوم بإشباع الرغبات وأهواء الفرد اللاواعية، فالعولمة تخلع عن المجتمع خصوصياته الوجودية والمعرفية وتجعلها مكشوفة أمام تدفق الصور والرسائل والعلامات التي تجوب الاثير على مدار الساعة [٧]، فتكثيف الرموز الانسانية العالمية بالمعلوماتية وادامتها في كل ان بما هو مستجد وإعادة ارسالها الى العالم لانتاج رد فعل بعينه ، أصبح ظاهرة العصر المستغل للثقافات الكونية التي امتزجت لتتحول الى كيان لتجمع ارث الثقافات المتعددة [٨٠] فما يتم ارساله عبر الاعمال الفنية المعاصرة هو مخالفة صريحة تعلن عن نفسها سواءً بالمفهوم أو الصورة الشكلية وغيرها من تلك الآثار المتراكمة ، لكنها في الآخر أصبحت لغة العصر التي تحدد انماطه الفنية .، فالفنون تتحول الى

---

[١] ديفيد انغليز و جون هغسون ، ، سسيولوجيا الفن / طريق للرؤيا ، تر: محمد الجوهري، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٧.ص: ١٠٤
[٢] جيمينيز ، مارك ، ما الجمالية تر: شربل داغر ، ط١، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٩، ٤٢٥
[٣] فيري ، جان مارك، فلسفة التواصل ، تر: عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦، ٩٨
[٤] كول ، كريس ، ، التواصل بوضوح وشفافية، مصدر سابق ،المقدمة الصفحة الاولى
[٥] بيرنار كاتولا ، الاشهار والمجتمع ، تر: سعيد بنكراد ، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ٢٠١٢ .ص:١٢
[٦] غريماس ، ألجيرداس . ج و جاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء ، تر: سعيد بنكراد ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط١ ، بيروت
[٧] علي حرب ، حديث النهايات .فتوحات العولمة ومأزق الهوية ،المركز الثقافي العربي ، ط٣، المغرب ، ٢٠٠٨، ص: ١٠٥
[٨] أبو رحمة، أماني، نهايات ما بعد الحداثة ، ارهاصات عهد جديد ،دار ومكتبة عدنان ، ط١، بغداد ، ٢٠١٣، ص: ١٠٨

فعل متحرك في مدار التواصل الثقافي المتطور النامي القادر على التصرف بجميع الوسائل التكنولوجية والاعلامية خدمة للتداول والاستهلاك والترويج . تغيّر معيار الفنون اليوم حتى أصبحت، تعتمد على المعارف الفنية التي أفرزتها العولمة في تبادلات ثقافية ، فالهدف منها هو احداث صدمة التلقي ، فالتبادلات الثقافية ودراسة التاريخ علامات تشير الى تطّور عميق في رؤيتنا للعالم وطريقتنا في العيش فيه ، وتعتمد الآن على الكيانات العابرة للحدود الوطنية ، مما قاد الى تحوير كثير من بنى التشكيل وتعظيم التحول الزماني للمكان من خلال اكساب الصورة التشكيلية مواصفات ديناميكية عبر الادائية أولا ثم تطور الامر من خلال فنون الحدث والفن المفاهيمي وصولا الى الفديو ارت والتنصيب في الفضاء وهي فنون يمكن تداولها ونقلها بيسر عبر الفضاء الالكتروني حيث أصبح الفن وظيفيا وأُدمج العنصر الجمالي داخل الانتاج الفني العام الاستهلاكي والتي تتغيّر مع الايقاع المتزايد دائماً للموضة)[1]

ويمكننا ان نجمل أدوات ووسائل الخطاب الصوري المعاصر بالاتي :-

١. الإعلان

لعب الاعلان عبر مواصفاته الفنية المتطورة احترافيا و قدرة وفاعلية مايتم تحميله من رسائل دورا جوهريا حيث صارت للصور المبثوثة دورها الابرز في ايصال خطاب بعينه اعتبارا من الحضارات القديمة

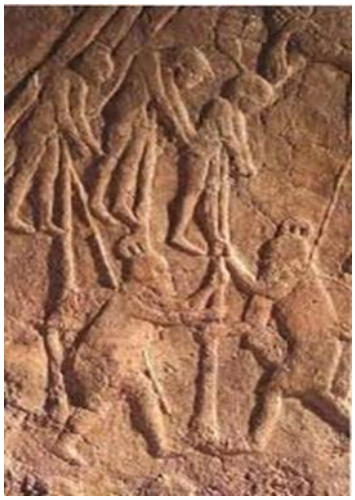

(شكل ١) جدارية اشورية لإرهاب العدو

وصولا للحربين العالميتين الاولى والثانية اللتين شهدتا نموا احترافيا اكاديميا مختبريا لما عرف بالحرب النفسية التي كانت تعتمد في جزئها الاكبر على بث الصور المرئية والمسموعة.

[1] ستالابراس ، جوليان، الفن المعاصر ، مصدر سابق ، ص: ٥٩ ـ ٦٠

(شكل ٢) الملصق الاشهر بالتاريخ الذي حث على اشراك اميركا بالحرب العالمية[١]

وكان ابرز ثمارها قطافا في حرب الخليج الثانية عندما سوقت اميركا بماكنتها الاعلامية نصرها المحسوم قبل وقوع المعارك واسقطت المدن بالتعاقب واعتمادها الصور المبثوثة قبل واثناء وبعد الحرب

(شكل ٣) صورة لطائر ادعى الاعلام الغربي انه ضحية تلوث نفطي بالخليج العربي ١٩٩٠ للتمهيد لاحتلال العراق

(شكل ٤) وثائق اثارة الرعب

[١] SusanneEverett؛The World War II ،Hamlyn, tornto,1996 P221

و قد اعتمدت مؤسسات الاعلام والاعلان المعاصرة مجموعة مرتكزات كان من ابرزها التسويق المكثف للمعلومات واحاطة ماينشر بهالة من الانباء المتضاربة مع او ضد بما يحقق الفة وتقبل للتلقي ثم حسم الموضوع لصالح الهدف الأساس من الخبر .

٢ – العولمة

التي تمثل الظاهرة الكونية المعاصرة وتتلخص في تجنيس خصوصيات العالم بالاحتكام الى الاستراتيجيات بعيدة المدى (كوكل انموذجا) وبما يؤمن تسهيل وسائل الاتصال والتداول والنقل ، والعمل الدؤوب على اذابة الحدود بما يسهل نقل وحركة وتبادل وتوحيد الظرف الموضوعي عبرها بتوظيف الوسائل التكاملية ضمن انساق بنى التداول التي تعد من أهم التغيرات العالمية المعاصرة بكل ما تحمله من حقائق و مخاطر على الصعد الثقافية و الاقتصادية الناجمة عنها بحيث ارتبط المفهوم الثقافي للعولمة بفكرة التنميط Uniformalisation الثقافي العالمي ، و ارتبطت عولمة الثقافة بدورها بمفاهيم مابعد الحداثات المتعاقبة والمواطنة من منظور العولمة والتي تعد اهم وسيلة من وسائل ايصال المعلومات واعادة تربية الاجيال ، فتم تقديم دوال عامة للكيف الذي يجب ان تكون عليه حركة المجتمع حتى تكون مقبولة ضمن هذه الدائرة المعاصرة ، بحيث ارتبط النمط الاجتماعي وتحولاته كدالة لتطور العولمة وما يرافق ذلك من عولمة الثقافة تصبح شكلا آخر من أشكال التبعية التي عدت على انها الحرب العالمية الثالثة غير المعلنة بين الشعوب الأكثر نموا أو تلك الأقل نمو بشكل خاص فالعولمة لم تبدأ في ثمانينيات القرن العشرين كما يعتقد الكثيرون بل مع ما تطلبه البحث الدائم عن تجديد سوق العمل وفضاءاته سيما ما يتعلق بالاقتصاد وقوى السوق والعمل والمستهلكين وبالفنون ومستهلكيها.

٣ – تداول وتسليع الثقافة العالمية

وهو امر تطلب توسيع سوق الاستهلاك باستمرار، وإنشاء الصلات الموثقة عبر اتفاقيات وعقود ومنظمات يتم اكسابها الشرعية والقدسية وتكون مواصفاتها حاكمة في كل مكان بما يمكن من استغلالها للسوق العالمية بإعطاء طابع عالمي على الإنتاج والاستهلاك لا يعترف بالحدود والخصوصيات . مما أثار ردود افعال منوعة وساهم ويساهم يوميا بتدمير الصناعات الوطنية القديمة المنشأ والضعيفة الركائز وغير القادرة أساسا على المنافسة. حيث تحل محلها الانساق المبتكرة الجديدة و بمقدم تلك الصناعات صناعة الثقافة العابرة لكل الموانع. بما يسر التوظيف الاقصى للقدرة الحضارية للفن على تحقيق فاعلية التواصل واذابة الحدود بين الحضارات ،ويتم دعم ذلك بتوحيد القاموس بالتخلي عن المحلية و بإشاعة ثقافة ان الفن والابداع والمنتج الحضاري يجب ان يكون عالميا عابر للحدود من خلال تكييفه بمواصفات جديدة تعتمد تحطيم المقدس اينما كان وبما يوفر الغرابة والصدمة والمخالفة و تستهدف الغرائز الدنيا التي لا يختلف عليها– جنس – سكن – طعام – امن – رفاهية – ويدعم ذلك صناعة النجوم المؤثرين كأبطال حسيين يعوضون الابطال الاسطوريين المتحفيين و توظيف هستيريا المجموع بالفن والرياضة والاعلام والاقتصاد وما تفرضه من شروط سياسية وتدخلات تنتهك الخصوصية الوطنية بحيث تشكل منظماتها

كالفيفا والواهو والفاو وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية مؤسسات عابرة للقوانين المحلية تقصي وتعيد وتقبل وترفض خارج سلطة الدولة ، يرافقها نشر ثقافة العسكرتارية (رامبو – داعش– مارينز – القوات المنقولة جوا) وبما يؤثث التلقي لتداول هذه المصطلحات وتبرير فعالياتها التي تستلزم الاطاحة بفكرة السيادة والعرف والتقليد والمحلي

٤ – الاعلام

تأشر وبوضوح دور الاعلام والدعاية كأحد اهم ارتكازات تشكيل وتكييف الحضارة العالمية المنشودة من خلال قدرتهما على الوصول عبر وسائل الاتصال المعاصرة دون قيود بما يغير المحلي باتجاه الموحد العالمي ،يدعم ذلك نظام استقطاب الكفاءات المحلية الى الاوساط الاكثر فاعلية من خلال منظومة معقدة من تزامن مراكز الطرد والجذب لتخصص بعينه (الأكاديميين – العلماء – المختصين – الاطباء – الرياضيين – الفنانين)،وذلك تلبية لحسابات ربحية في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية المتنامية ومنها المعرفية لجأت بسببها القوى العالمية لاستقطاب عناصر تكوين الحضارة نحو مراكز اكثر شهرة وفاعلية من خلال نظام الهجرة الذي اقر لاول مرة تحت هذا الضغط بعد المؤتمر القومي الاميركي ١٩٥٧ تحت عنوان A nation At Risk[١] الذي عالج قضية تاخر الولايات المتحدة عن الاتحاد السوفيتي في اطلاق اول قمر صناعي للفضاء وكان من بين ابرز مقرراته ان تستورد اميركا سنويا خمسون الف مختص بصيغة نظام الهجرة الاميركي المعروف لمعالجة النقص المتوقع في حاجة اميركا للتخصصات وهو ما حصل فعلا وبوتيرة متنامية ساهمت في ولادة امة اميركية جديدة اكثر تمثيلا للعالم بأجناسه وثقافاته وكشفت الخصوصيات الوطنية امام محترفي الخطاب الاميركي . وقد تعززت هذه التفاعلية الحضارية من خلال الاستراتيجيات التي تقود السياسات العامة لاميركا التي يلخصها هنري كيسنجر في محاضرته ١٩٧٨ بعنوان (استراتيج اميركا بالقرن القادم) يخلص فيها الى ان الرب خلق هذه الامة الاميركية الممثلة للعالم لتدير شؤونه [٢] ، وقد سخرت الفن كأحد اهم وسائل تلك الادارة باعتبار الفن سيد القوى الناعمة فصيرت له مناهج ومدارس واتجاهات للنقد والتحليل و الاقتناء والدعاية والتسويق ، ومن ابرز ما تطلبه ذلك الاندحار المستمر للأنساق المحلية لصالح الانساق الفاعلة المغيرة التي بأغلبها ذات طبيعة عابرة للحدود وهي محملة بعوامل تغيير المواصفات الثقافية للوسط المضيف وهو ما ترتب عليه تغيرات تمتد ابعد من الثقافة تبعا للطاقة الكامنة في الفن الوافد وما يحيط به من ظرف موضوعي يتمثل باقوى صوره بالعولمة المنقطعة عن التاريخ بضاغط الفلسفة البرغماتية التي لا ترصد في التاريخ مايعين على الانفلات من عقال الايقوني [٣] فتطيح بالهويات الصغرى الجزئية لصالح

---

[١] Peter J. Denning A nation at risk: the imperative for educational reformAuthor: newyork 1962-447

[٢] Public Theology for a Global Society: Essays in Honor of Max StackhouseDeidre King Hainsworth - ،Scott R. Paet‹-new york 1983

[٣] Pragmatism: An IntroductionMcgrowhill --Michael Bacon –London – 2012

هوية كبرى بمواصفات تبدو في مواصفاتها الفينومنولوجية على انها حاصل جمع الهويات لكنها في بنيتها الثاوية تبذر للقابل المنقلب على كل المرجعيات لصالح مرجعية مؤكدة مصاغة مسبقا ومن اجلها تم تفعيل التواصلية والتداولية والتسليع و.من خلال ثورة الانفوميديا وتفعيلها وتيسير تداولية ادواتها [1] وباقيام شبه مجانية للهاردوير (اجهزة اتصالوتواصل) و(للبرامج السوفت وير) كالفايبر و محركات البحث والاتصال والتواصل الاجتماعي كالفيس بوك والكوكل والاكسبلورر وصولا الى عالم (فري زون) لا يتم فيه تسديد اية اجور على الخدمات الاتصالية بل وتضمين الدساتير نصوصا تحدد حقوق المواطن المجانية بسرعة نقل المعلومات بالميغابايت بالثانية والعمل جار لجعل كل افريقيا مستلمة لداتا الاقمار مباشرة وتحسين سوفتات وبرامج الاتصال الصوري والصوتي وصولا الى عالم اكثر انكشافا وتلاصقا . أن التنميط الثقافي يعد الاستثمار الانجع لثورة الانفوميديا وشبكة الاتصالات العالمية التي وان كان ظاهرها ثقافيا معلوماتيا فان هيكلها الاساس هو حركة راس المال والقوى الفاعلة (الاقتصادي الإنتاجي الربحي)عبرها والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال .وهو ما يثير تساؤل كثير من مستخدمي هذه الشبكات عن سبب قيام هذه الشركات بتقديم الخدمة المجانية (yahoo– -- google face book) وغيرها المئات ، وقد ترتب على ذلك ان يتطور التوثيق الالكتروني وصولا الى صياغة قوانين للتعاقد الالكتروني بدء من العقد التجاري الى نقل الاموال الى عقد الزواج الالكتروني وتوظيف الساحة المعلوماتية كأداة للعرض والتسويق والربح من خلال شيوع البا سوورد وتحصينه بما سهل اعتماد كارتات شحن ونقل الاموال عبر الانترنيت الذي بالوقت الذي يسهل الاتصال ويذوب الخصوصيات فانه ييسر للمالكين التنفيذيين دراسات احصائية تفصيلية عن ميول وتطلعات وتوجهات التجمعات البشرية المستهلكة للخدمة وبما يقدم قاعدة بيانات يتم الاستناد اليها في صياغة السياسات بمختلف انواعها من ابرز معالمها احتكار المعلومات الى درجة امتنعت فيها شركة yahoo عن اعطاء كلمة السر password جندي اميركي مقتول بالعراق لوالده ليطلع على متعلقات ولده – فالبريد اليومي لجميع المشتركين فضلا عن نوع التصفح والتنزيل يوفر ارضيات احصائية يتم تجميعها والافادة منه في صياغة توجهات مجتمع ما بحيث تنتهي مع ذلك حتى الخصوصيات الفردية وهو ما يساهم في صياغة السياسات التنفيذية للجهات العالمية وكل ذلك يجري باستراتيجيات وتدابير يتم خلالها تيسير الاتصال وادواته وابراجه وصولا الى تصفير المسافات الجغرافية والثقافية ومايلزمهما من متطلبات حولت العالم الى قرية ثم كتاب ثم الى شريحة يتم فيها تبادل البيانات بسرعة الضوء بين الحضارات وبات الكل يصل للكل وفي ذلك تعج عواصم العالم بالنوافذ الوطنية التي تفتح لتقابل على الهواء مباشرة اشخاصا عبر المحيطات من خلال نقل الصورة عبر الكابل الضوئي البصري العابر للكرة الارضية وما رافق ذلك من دوائر الاتصال التلفزيوني المباشر يعزز ذلك اشاعة التشريعات الخاصة بما عرف بالسلطة الرابعة للصحافة بحجة

---

[1] The Infomedia Revolution: How it is Changing Our World and Your LifeFrank KoelschMcGraw-Hill Ryerson, 1995 - 358

الحياد حتى تؤتي هذه الفعاليات ثمارها سيما في المفاصل التي يراد استثمارها واستثمار ظروفها، وفي ذلك الخضم كان للفن حضوره عبر ذلك الاثير بما يحمله من مقومات تسهيل التداول . ان من بين ما يؤشر سيطرة هذه المعلومات المنقولة عبر الشاشة على اعادة تشكيل الثقافة من خلال ما تمتلكه من قدرة على البث الصوري المؤثر والمكثف وبما يعيد تشكيل ثقافة المتلقي وتربيته بحيث ان العالم بفعل ذلك الخطاب صار اكثر تجانسا من الناحية الفينومنولوجية بحيث تتوحد الملابس والعادات والتقاليد ومن مأكل ومشرب بل وحتى طريقة اشباع الغرائز الدنيا والعواطف عبر ما يتم تطبيقه من اثر المثاقفة الملقى على كاهل المتفرجين اذ صار العالم والمعرفة المنقولة والمتداولة اكثر اتساقا وانتظاما نسبة للقوى الفاعلة في تاريخ ما بعد الحداثة [1]ولضمان حرية وصول المعلومة فقد تم تشريع منظومة قوانين تهدف حماية ورعاية الوسط الناقل للإعلام عبر ما عرف بالسلطة الرابعة المتمثلة باستنهاض دور الصحافة والاعلام واكسابها حصانات تجعلها سلطة حقيقية بمردودات ايجابية في البيئات الايجابية ولكنها ليست كذلك في بيئات متخلفة حضاريا بسبب تبعيتها القسرية للمؤسسات الاعلامية العالمية التي تدار من قبل جهات بعينها فكانت مساهمة هذه السلطة سلبية لأسباب كثيرة برغم التضحيات الكبيرة المبذولة في هذه المهنة .

٥- <u>صناعة البطل</u>

تم اللجوء الى صناعة الابطال المعاصرين الذين يعوضون عن البطل الأسطوري والتاريخي والاجتماعي والسياسي ، اعتمادا على مبدا التخلي عن الايقونات وكسر الحواجز وتقديم الغريب والمثير وصولا للصادم والمنفر على حساب التاريخي والذهني ، وهو التغيير الذي يجري بقوة في ادوات الاعلان والأعلام م كالسينما والصحافة والقنوات الفضائية والموسيقى التي تم توظيفها بالطاقة القصوى بحيث صارت تجارة عالمية تعتمد ميزانيات ت الى دول كبرى (هوليوود وبوليوود ونظرائها) (والروك اند رول والبلوز والويسترن) وصارت هذه التجارة تشكل جزء مهما من موارد اللوجستية للبلدان سيما وان المبثوث الصوري الاعلاني عبر السينما يجمل في طياته خطاب التغيير الذي كان له قصب السبق في عولمة المستهلكات بين الشعوب اذ ظلت السينما بوقا وفيا مسخرا للبروغاندا العالمية ساهمت في اعادة تشكيل العالم من خلال صناعة البطل الاسطوري المعاصر بمواصفات حسية (ولنشر البطل البديل عن الاسطوري مارلين – عشتار كلاي – كلكامش مارلين مونر و –-– كوكا كولا – العلم الاميركي – الهامبركر – علبة البريلو) انموذجا صنع على غراره نماذج محليه توظف لتسهيل تمرير وتنفيذ الثقافة الى اكبر واهم الشرائح الفاعلة في غد الشعوب وهي شريحتي المراهقين والشباب يدعم ذلك تطوير ما عرف بظاهرة الموظة التي يتم فيها التبدل المستمر للمظهر والسلوك والعادات والملابس يرافق ذلك ربحية عالية من نوع

---

[1] Jim Baen،Eric Flint،The World Turned Upside DownDavid Drake-new jersy-2002

الموسيقى والاتها والسكائر والملابس (GEANSE و LEE على سبيل المثال) وتسريحات الشعر والمكياج فضلا عن الاثاث والتصاميم الداخلية ، وفي ذلك نؤشر المواصفات الجديدة للبطل الذي تم تهيئته ليكون بديلا عن البطل الاسطوري التاريخي المغيب على جدران المتاحف والذاكرة المجتمعية فهو بطل حي يقدم الاوتوغرافات ، كما يتم اكسابه هالة من الاعجازات وفي مقدمتها الاعجاز والابهار المالي بحيث يكون قدوة للاهثين واللاهثات حد الانتحار شوقا لمقابلته او الحضور للتجمعات التي يديرها كما يتم توظيفه لما يعرف بالدعاية والاعلان للمواد والافكار والمنتجات بل ومن اجل اشاعة تأثيراتها وتلقيها بين الجمهور تم توظيف وسائل تكنلوجية غاية في التطرف من ناحية مستوى الصوت بالديسبل وحتى ما يرافق ذلك من موجات فوق صوتية تم التعرف على تأثيراتها على الكلاب والاطفال والمراهقين واشاعة فكرة هستيريا المجموع لتلقي مثل هذا الانجاز وهي اساليب غير معتادة في نشر الثقافة – وان كانت شائعة في الدين والسياسة و الرياضة -- رافقها بث تفاصيل الحياة اليومية للنجوم التي يتم فيه التركيز على الفضائح وخصصت لذلك الغرض ما عرف بالصحافة الصفراء التي وظيفتها انتهاك الخصوصية وتذويب القيم والاستهزاء بالمقدس وصولا الى نشر اعترافات الخيانات الاخلاقية ومخالفة الطقس الاعتقادي السائد المحافظ للمجتمعات الشرقية على الفضاء الحي كما يحصل في قنوات MBC وBBC و OTV وبرامج تركز على تناول الجنس والعنف كان الغرب قد خلص اليها كمسلمات من حرية المواطنة والانسانية ، نتلمس بعض مظاهرها اليوم في تردد المشرعين الأميركان بحظر امتلاك الاسلحة للمواطنين برغم كثرة حوادث القتل في الولايات المتحدة الاميركية وفي تكليف البيت الابيض لأشهر مثليي الجنس الاميركان لألقاء كلمة حفل القاء خطاب تكليف اوباما للمرة الثانية . ان تسويق المرفوضات وجعلها قاعدة للقياس نجم عنه تحويل الطقس الاجتماعي الفني المحلي والانقلاب عليه بما يرافق ذلك من خسارة تاريخية وثقافية ، فالمجتمعات الشرقية انقادت للتخلي عن طريقة لبسها بسبب النموذج الذي ضغطت به مارلين مونرو ونسخها الشرقية – كوكوش – هند رستم – سعاد حسني – اشا كابور فولد جيل تمرد على اللباس التقليدي وارتضت بالملابس المعاصرة – بالميني جيب حتى في اكثر المناطق فقرا بالشرق الاوسط والاقصى، رافق ذلك ماجرى وبانتظام من اطاحة نسقية بالأيقونات الشاعرية والموسيقية والتشكيلية التخلي عن البنى السردية الشعرية التي وسمت المنجز الابداعي للشرق لصالح بنى لم تعد حتى تربط بالتنغيم الاحترافي اللوني والموسيقي تقليدا لما يجري في فنون الغرب، كما تم تقليد ومحاكاة البنى الاجتماعية والاخلاقية ، مع شيوع برامج انتهاك وهي برامج انتجت بنسخ اميركية ثم تم تقليدها لكل الامم بلغاتها كي تشيع ثقافة موحدة تستغل هذا النوع من الانتاج ويشبهها ما جرى من سيربح المليون واللوتو والتوتو وغيرها من منظومة برامج ساهمت وبنجاح عبر عقود متتالية بتغيير المظهر المجتمعي للمحليات نحو مظهر عالمي موحد بتنا نمر عليه كلما وثقنا الزي المحلي الذي اصبح التراثي المهجور لصالح الزي العالمي الموحد الذي تدعمه ثقافة اللغة الانكليزية العالمية وهو ماترتب عليه نشوء تربية معاصرة تحتقر التاريخ ولا ترى فيه الا معوقا للمسيرة الحضارية

الفصل الثاني

الإرهاب والخطاب الصوري

استمرارا لتفاعل معطيات الحضارة فقد تم تكييف حصيلة فاعلية الخطاب الصوري لخدمة أغراض سياسية واقتصادية واجتماعية، ووظفتها تنظيمات متطرفة بشكل معلن او خفي بالافادة من السماح لها باستخدام حر للشبكة العنكبوتية او مواقع التواصل الاجتماعي بذريعة حرية وصول المعلومة علما بان كثير من هذه التنظيمات كانت قد نشأت وتطورت وتدربت في حاضناتها في العالم الغربي من باب اللجوء الإنساني او مقاومة المد الشيوعي السوفييتي في افغانستان ساعد ذلك على بروز اعلام التيارات المتطرفة حيث تعتمد هذه التيارات بشكل واضح وملفت على وسائل الدعاية والاعلان وتنفق بتمويلها مبالغ كبيرة واعتماد اساليب اخراجية متقدمة تكشف عن وعي مؤسسي لأهمية الاعلام والاعلان والدعاية وكان للخطاب الصوري حصة ما قدمة في ذلك عبر توظيف متقدم مدروس اثار الشكوك حول نوع المساعدة التي تلقتها تلك المنظمات في سبيل انتاج هذه النصوص المرئية والمسموعة وبشكل متطور ومؤثر وفاعل،شكل ٥-٦-

فقد ركزت التنظيمات الارهابية على بناء الكاريزما الشخصية للبطل (الإرهابي)على طريقة هوليوود وبما يساهم في تحشيد اكبر عدد من المتطوعين بتأثير ضغط ما نشيت السينما والاعلام (شكل ٧-٨-٩)

كما اعتمدت المؤسسة الإرهابية بشكل مسرف ولافت على انشاء المواقع الالكترونية وما تبثه من وثائق وملفات وافلام و الصور والاناشيد التي تحقق اكبر جذب ممكن للعقول المراهقة والمنحرفة سيما في الاوساط التربوية التي تعاني من خلل ما او المؤهلة للاندفاع باتجاهها لاسباب جغرافية وتاريخية وتربوية ومجتمعية يساعده سوء الادارة واستشراء الفساد الذي لايمكن معه بناء النموذج الايجابي الذي يدحض المعبئين لصالح هذا الفكر المتطرف (شكل ١٠-١١)

يساعدها في ذلك الهالة الاعلامية العالمية التي صعدت من نجومية هذه التنظيمات والعمل السياسي والاعلامي المساند لها وبنفس الوقت عرقلة الخطاب البناء المواجه لهذا الحراك كما في التعامل مع القنوات المؤثرة في اظهار حقيقة الاسلام كدين للحياة والرقي عبر بناء الشخصيات المتزنة المنتمية للوطن والسلام والامن وترك القنوات المثيرة للفتنة الطائفية وتلك المحرضة على الانتماء للفكر التكفيري المتطرف تبث دون قيد او شرط او حتى رسوم من على الاقمار التي تعود ملكياتها الى جهات سلفية واضحة. وقد تم توجيه الخطاب الصوري للتركيز على اظهار وجود و اشتراك النساء في التنظيم الإرهابي و على الفعاليات الجنسية التي تساهم بجذب طيف واسع من الشباب الشرقي الذي تربى في اوساط الحرمان الجنسي من خلال تكرار بث الصورة التي تقدم الفعاليات الجن سية كجزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للمجتمع الإرهابي -- او بث صور بعض الحسناوات التي تقاتل الى جانب الرجال كما في قضية – القناصة الحسناء الروسية – وبأسلوب لا يبتعد عن ما ذهبت اليه السينما العالمية و فكرة مانشيت السينما الذي يستدرج المتلقي من خلال اختصار الواقعة بلقطة ما يتم تعزيزها بما يلبي المثيرات الحسية الدنيا(شكل ١٢-١٣-١٤-١٥)

فضلا عن بث المحفزات الطائفية بما يؤمن قاعدة فكرية تستهدف الإيقاع بمحدودي الثقافة الذين يعول على نسبتهم الإحصائية من خلال تقديم الصورة الأشد تطرفا على انها الهوية الحقيقية للمجتمع ونلحظ ذلك بوضوح بانتشار القنوات المتخصصة لتشريح التاريخ الطائفي للدين الاسلامي والتي تبث من عواصم اعرق الديمقراطيات بالعالم مثل لندن او مونتريال او باريس وظهور كارزمات لنخب شابة من المكلفين بنبش المستور وفضح المسكوت عنه من التطرف المذهبي ويجاهرون بما دار خلف الكواليس والنصوص التاريخية ويقدمونه بطريقة مدروسة تضمن الاثارة وتحقيق الارجحية على الاخر ليصل عبر الاثير الى كل المتلقين بما فيهم من يراد ان يصل اليهم وعليهم بعد تضخيمه واكسابه طاقته التدميرية اللازمة كما في النيل من بعض الرموز المقدسة وهو الموضوع الذي يعول عليه الارهابي عسكريا كان او سياسيا في برهان منهجه سيما مع تهيئة الحواضن لرد الفعل المقابل بالإفادة من تيسر وسائل التواصل المتقدمة والمتاحة . ساعدها على ذلك وبشكل كبير عدم فاعلية رد الفعل المقابل للحراك الاعلامي الاعلاني للإرهاب والتخبط الاعلامي نتيجة لقلة الخبرات ولعدم الوعي بأهمية الاعلام والاعلان في ذلك ومرد ذلك الى عدم المام المسؤول بأهمية الموضوع واعتماد اساليب قديمة لا تتوائم مع نمو الذهنية المعاصرة وتراعي الظرف الموضوعي فضلا عن عدم احترافية الادارات في هذا الباب وهو ما نلحظه وبوضوح من ضعف شخصيات المقدمين والمذيعين وفي هيكلية الاستديو وفي بؤس الحوار وعدم مراعاته للعصف الذهني للتلقي المعاصر الذي يتحدد بزمن فاعلية قصير جدا كما يلاحظ في ضعف المادة الخبرية

وعدم جديتها بحيث ان المتلقي حفظ اكثر الفيديوهات والصور المبثوثة مما يفقده الثقة بما يتم ارساله عبر ذلك الاثير ولجوءه الى مغذيات اخرى تعيد صياغة الخبر بطريقتها كما ان الفشل في اظهار مصير المنخرطين في صفوف الإرهاب مرة لعدم توظيف الخبرات المحترفة في إدارة الموضوع وأخرى بحجة شروط المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الانسان من خلال الخضوع لمتطلبات تلك المنظمات والسلطة الرابعة الصحافة والاعلام وهو ما اضاع فرصة الوقاية من خلال ردع المقبلين على التطوع للإرهاب يضاف اليه ما يشاع الى حد المسلمات عن تأخير وعدم تنفيذ الاحكام بمن يتم القاء القبض عليه بل ونشر وثائق تبين الحياة المرفهة للسجناء وتوفر وسائل الراحة وهو الامر الذي لم يحصل بتاريخ التعامل مع الارهاب حتى في اكثر الديمقراطيات عراقة بالتاريخ -- غوانتا نامو انموذجا ---

الفصل الثالث

النتائج

١- شكل الخطاب الصوري ظاهرة فاعلة في إعادة تشكيل المجتمعات والسياسات وصار بناء على ذلك هدفت ووسيلة للقوى الكبرى ومن اجل ذلك تم تحوير وتطوير المنجز الفني ليكون قابلا للنقل والتلقي والتأثير بأكفأ ما يمكن على اكبر كم من الشريحة المستهدفة وبسرعة كافية لملاحقة الاحداث وباقل ما يمكن من تكاليف

٢- كان للتطور التقني الاتصالاتي المعلوماتي دوره الكبير في تنمية هذا النسق المعرفي

٣- وظفت الحركات المتطرفة والارهابية الخطاب الصوري كفعل مجاور للسلوك المثير لهذه التنظيمات وكان لذلك أثره غير المتوقع العواقب

٤- امتاز توظيف الدول والمؤسسات للخطاب الصوري كرد فعل بالضعف وعدم الكفاءة

٥- مطلوب تطوير أساليب وأدوات مهنية قادرة باحتراف على إدارة موضوع الخطاب ومنه البصري وتوجيهه في ظل تطور الانفوميديا المعاصرة

٦- امتازت التطبيقات التي تم توظيفها في الخطاب الصوري بمواصفات زمانية على حساب المكانية وبما يشكل حافزا لإدراك اهمية تنشيط ورعاية تحولات الاتجاهات المعاصرة في التشكيل لاسيما في الفديو ارت والحدث والتنصيب وفن الشارع والتفاعلي وبما يساهم في تأسيس خطاب صوري يؤدي دوره في معالجة الثغرة الحاصلة في الرد السلبي على فاعلية الاخر.

الخاتمة

من ذلك نستخلص ان الخطاب الصوري بمواصفاته العابرة للحواجز والموانع الظاهرية والثاوية قد اصبح وبشكل مباشر أداة مهمة فاعلة في استراتيجيات الاعلام والاعلان والترويج وأفادت من تلك المواصفات المنظمات الإرهابية في حربها المستمرة على الحضارة التي اتخذت من الصور المبثوثة ثابتة او متحركة عبر وسائل الاتصال العالمية وسيلة للوصول الى الاخر وبكفاءة عالية تعوض محددات ظرف عمل هذه المنظمات المفترض وبقدرات تفوق قدرات دول – حيث عمدت هذه التنظيمات الى استثمار مساحة الحرية عبر منظومة الانفوميديا العالمية وغياب رد الفعل المنظم الذي يوظف فعاليات السياسة والدين والاقتصاد ويستلزم بالمقابل استحضار فعاليات مدروسة لا تعتمد العواطف والانفعالات وتتطلب تنفيذا احترافيا بالإفادة من خبرات عالمية بالموضوع وتطوير ورعاية الفعاليات والمهارات والأساليب التي يتمتع بها فناني البلد للمساهمة في ادامة الرد الإيجابي الحضاري .

المصادر

١-أبو رحمة، أماني، نهايات ما بعد الحداثة ، ارهاصات عهد جديد ،دار ومكتبة عدنان ، ط١، بغداد ، ٢٠١٣،

٢-استيتية ، سمير شريف ، اللغة وسيكولوجية الخطاب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، الأردن ، ٢٠٠٢،

٣-بيرنار كاتولا ، الاشهار والمجتمع ، تر: سعيد بنكراد ، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ٢٠١٢.

٤-جيمينيز ، مارك ، ما الجمالية تر: شربل داغر ، ط١، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٩ ،

٥-ديفيد انغليز و جون هغسون ، ، سسيولوجيا الفن / طريق للرؤيا ، تر: محمد الجوهري، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٧.

٦- شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ،عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠١،

٧-علي حرب ، حديث النهايات .فتوحات العولمة ومأزق الهوية ،المركز الثقافي العربي ، ط٣، المغرب ، ٢٠٠٨،

٨-غريماس ، ألجيرداس . ج و جاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء ، تر: سعيد بنكراد ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط١ ، بيروت

٩-فيري ، جان مارك، فلسفة التواصل ، تر: عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦،

١٠-كول ، كريس ، ، التواصل بوضوح وشفافية، مصدر سابق ،المقدمة الصفحة الاولى.

١١-موقع محمد إسليم ، التحولات الأدبية والثقافية في العصر الرقمي ، ٢١ يوليو ٢٠١٢،

١٢------A nation at risk: the imperative for educational reform
Author: newyork 1962-447 Peter J. Denning

١٣---- http://www.m-aslim.net/site/articles.php?action=view&id=124

---١٤Public Theology for a Global Society: Essays in Honor of Max Stackhouse

١٥-Deidre King Hainsworth --new york 1983،Scott R. Paet،

١٦-Pragmatism: An Introduction Mcgrowhill --Michael Bacon –London -- 2012

١٧The Infomedia Revolution: How it is Changing Our World and Your Life
Frank Koelsch McGraw-Hill Ryerson, 1995 - 358

١٨-The World Turned Upside Down David Drake-new jersy-2002،Eric Flint،Jim Baen